القصة في كتاب قراءتي للمرحلة الابتدائية (الشخصيات المؤنسنة وصناعة الخوف والقيم السلبية عند الطالب)

The story in my reading book for the primary stage (Humanized characters and the creation of fear and negative values in the student)

م. د. محمد عكله فرحان
وزارة التربية
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار- العراق

Dr. Mohammed Oglah Farhan
Ministry of Education - General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate- Iraq.
Hejry71@gmail.com

م م. سعد كاظم جبير الظالمي
وزارة التربية
المديرية العامة للتربية في محافظة المثنى- العراق.

Assistant Lecturer. Saad Kadhim Jubair
Ministry of Education - General Directorate of Education in AL- Muthanna Governorate- Iraq.
alsa72ad@gmail.com

الملخص

تعد الشخصية المؤنسنة أساس البناء القصصي في قصص الأطفال، وتمنح الحركة والحياة لبقية العناصر القصصية، وللشخصية المؤنسنة حضور بارز في قصَصِ الأطفالِ في كتابِ القراءةِ للمرحلةِ الابتدائيّةِ في العراق. صنعت الشخصيات المؤنسنة منظومَة من القيمِ أنتجتها للتلميذ الصغير في النصوص القصصية المدرسية، ومن خلالِ تحليل دورها في هذه القصص، يرصد البحث بعض القيم السلبية التي نتجت من هذه الشخصيات، فيفرزها، ويصنفها، ويحصي الأكثر منها تكراراً، ويبيّن ما تعكسه من أثر سلبي على التلميذ الصغير.

الكلمات المفتاحية: القصة، الشخصية المؤنسنة، القيم السلبية.

Abstract

The humanized character is the foundation of narrative structure in children's stories, bringing movement and life to the remaining narrative elements. The humanized character has a prominent presence in children's stories in the primary school reading book in Iraq.

Humanized characters create a system of values for young students in school narrative texts. By analyzing their role in these stories, the research monitors some of the negative values emanating from these characters, sorting and classifying them, counting the most frequently repeated ones, and demonstrating the i r negative impact on young students.

Keywords: story, humanized character, negative values.

المقدمة

القصة أكثر الفنون الأدبية قرباً إلى نفس الطفل؛ إذ تجذبه بشخصياتها وتثيره بأحداثها، وتتميز شخصياتها بالأنسنة وهي الدمج بين عالمي الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد أيضاً، والطفل يستمتع بها وينجذب إليها؛ فهي تتوافق مع طبيعة الطفولة التي تميل إلى الإيحائية والواقعية أكثر من التجريد.

أهمية البحث: وتعدُّ القصص في كتاب القراءة للمرحلة الابتدائية في العراق متميِّزةً في مجال تضمّنها للقيم التربوية، لكنها لا تزال تفتقر إلى دراسات نقدية تقوم بتحليلها ودراستها وتقييمها، لذا تم اختيار (القصة في كتاب قراءتي للمرحلة الابتدائية. الشخصيات المؤنسنة وصناعتها للخوف والقيم السلبية عند الطالب) موضوعاً لهذا البحث؛ للمساعدة على اختيار النصوص القصصية المدرسية وكشف ما يعتريها من سلبيات من خلال شخصياتها المؤنسنة؛ لملاءمتها أبنائنا التلاميذ في المرحلة الإبتدائية.

اشكالية البحث: وتنحصرُ اشكاليّةُ الدّراسةِ في تقديمِ معرفةٍ بالشخصيّاتِ المؤنسَنَةِ في القصص التي تضمنها كتابِ القراءةِ للمرحلة الابتدائية، وينقدِحُ من هذه الإشكاليةِ الأسئلة التالية: ما نوع الشخصيات المؤنسنة في كتاب القراءة للمرحلة الابتدائية؟ وما القيم التربوية التي أنتجتها؟ وهل صنعت هذه الشخصيات قيماً سلبية تسبّب ضرراً للتلميذ؟ هل استطاعت الشخصياتُ المؤَنسَنَة تلبيَة حاجَةِ الطّفلِ العراقيِّ في هذه المرحلةِ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمد البحث **المنهج** الوصفي التحليلي، مستعيناً أحياناً بالمنهج النفسي.

عيّنة البحث: تكوّنت العينة من مجموعة قصص في كتب اللغة العربية من الصف الثاني الابتدائي إلى الخامس الابتدائي عددها ثمان قصص وظّفت الشخصيات المؤنسنة، وهذه القصص هي (ذكاء الببغاء، الديك والثعلب الماكر، الحمار والثور، ليلى والذئب، الفأرة الصغيرة والأسد، الحمامة والثعلب، الحمار العنيد، الصديقان).

هدف البحث: وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على المحتوى القيمي للقصة في منهج اللغة العربية للمرحلة الإبتدائية، والكشف عن الشخصيات المؤنسنة فيها، وما تضمنته من قيم سلبية كالخوف من

الآخر، والكذب، وخداع الآخر، وما لها من آثار ضارة على تنمية القيم التي تسعى وزارة التربية لغرسها في التلاميذ وتنميتها في شخصياتهم، ويتضح هذا في اهتمام منهج اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في القصة، وتحديداً القصة التي وظفت الشخصيات المؤنسنة.

وللإجابة عن أسئلة الاشكالية السابقة قُسِّمتْ الدراسةُ إلى مبحثين:

المبحث الأول نظري:

حوى خمس محاور، الأول: مفهوم القصة وأهميتها، والثاني: شروط القصص المناسبة للأطفال، والثالث: مفهوم الشخصية المؤنسنة ودورها في قصص الأطفال، والرابع: الخوف عند الطفل أسبابه والوقاية منه، والخامس: الخوف في القصة وأثره على الأطفال، والسادس: كيف تنجح الشخصية المؤنسنة في ترسيخ القيم؟

المبحث الثاني تطبيقي: خصّصناه لتحليل الشخصيات المؤنسنة في ثمان قصص من كتب القراءة في المراحل الابتدائية وتوضيح صناعتها للخوف والقيم السلبية. ثم الخاتمة والنتائج، والتوصيات.

***المبحث الأول «النظري»:**

أولا: مفهوم القصة وأهميتها في التربية والتعليم:

- مفهوم القصة:

القصة هي مجموعة من الأحداث، يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة، أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية، أو مؤنسنة (قورة، ٢٠١٣، ٩٧)، وهي شكل من أشكال الأدب الشيق، فيها جمال ومتعة ولها مقومات فنية، ومن أهم هذه المقومات الفكرة الجيدة، والأسلوب اللغوي المناسب، والشخصيات، وتعد الشخصيات من أهم عناصر القصة) نجيب، ١٩٩٤، ٧٦). ويقصد بقصص الأطفال كل ما يكتب للأطفال نثراً بقصد الإمتاع أو التثقيف، بحيث يروى في شكل أحداث وقعت لشخصيات معينة، سواء أكانت هذه الشخصيات واقعية أم خيالية، وسواء أكانت تنتمي لعالم الكائنات الحية أم غيرها (المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج،٢٠١٠، ٦٣)

- أهمية القصة في التربية والتعليم:

تؤدي القصة دوراً مؤثراً في حياة الطفل، فهي من أقدر فنون اللغة على تحقيق الأهداف التربوية؛ لأنها لا تحمل الأوامر والنواهي والتوجيهات المباشرة التي يسأم الطفل من الاستماع إليها، فدروسها التربوية تأتي بطريقة غير مباشرة، ما يسهّل عملية الاستيعاب والتمثُّل، فتنفذ القصة إلى وجدان الطفل ويتمثّل معها مشاعر الألم والحزن، فيحسّ معها بنشوة الانتصار والتفوق.(المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، ٢٠١٠، ٦٣). ويمكن القولُ: إنّ التعويلَ على القصة في عملية التربية والتعليم، سببه العلاقة المتميّزة التي تربطها بالطفل. ولهذا، فقد (أجمع

علماء النفس والتربية على أنّ القصة هي أهم الوسائل التعليمية التي تلائم نفسية الطفل، وتؤثر في قدراته الإدراكية لتنمية شخصيته باللغة والثقافة والعلوم، فهي الطريق التربوي الصحيح لتقديم الحقائق والأفكار لعقول الناشئة) (مارون، ٢٠١١، ١٢٨).

من هنا، ينبغي العناية بدراسة شخصيات القصة؛ لئلّا يتأثّر الطفل سلباً بما في بعضها من سلوك مرفوض وقيم سلبية لا تخدم الهدف النبيل للأدب الموجّه إلى الأطفال. وعليه، يفضّل أن تخضع هذه القصص لمعايير تناسب مستوى الأطفال النفسي والمعرفي. وينبغي لقصص الأطفال أن تختلف عن قصص الكبار من حيث الشكل والطريقة التي تعرض بها الأحداث، والمنطق الذي يكمن وراءها، والعلاقات التي تحكم شخصياتها، ويكون مضمون قصص الأطفال يختلف عن قصص الكبار، من حيث الأفكار، أو الشخصيات التي تعكس هذه الأفكار، أو الأماكن والأحداث (طعيمة ، ١٩٩٨، ٣٢).

ولهذا، يجب الاهتمام بقصص الأطفال التي يتضمنها منهج القراءة في المرحلة الابتدائية؛ لأنّ (الطفولة مرحلة يسهل التأثير فيها وزرعها بالانطباعات، حيث يقوم الأطفال بالتعرّف على القيم والعادات والمواقف المختلفة في ثقافتهم ومن ثَمّ بالتأقلم معها)(تاك، ١٩٩٩، ٢٨٤).

ثانياً: شروط القصص المناسبة للأطفال:

الأطفال بحاجة إلى القصة الموجهة لهم في مناهجهم الدراسية كحاجتهم إلى العلم؛ لكي ترتقي بوجدانهم، وتتمكّن من إشباع حاجاتهم المتعددة (مدكور، ٢٠٠٦، ٢٢٦). فالقصة تساعد الأطفال على فهم الحياة والتكيُّف معها، وتهذيب أخلاقهم، وتنمية خيالهم، وتربية ذوقهم، وبالتالي تنمية قيمهم التربوية. (إسماعيل، ٢٠٠٤، ٤٨)

وتؤدي قصص الأطفال وظائف عدّة منها: الوظيفة المعرفية العقلية، والوظيفة الأخلاقية، والوظيفة الوجدانية النفسية. ومن خلال الوظيفة المعرفية يتم تنمية القدرات العقلية المختلفة، وإمداده بالمعلومات، وتنمية حب الاستطلاع. ومن خلال الوظيفة الأخلاقية يتم إمداد الطفل بالقيم التربوية النافعة، وتنمية الوعي الاجتماعي. ومن خلال الوظيفة الوجدانية النفسية للقصة يتم الارتقاء بوجدان الطفل النفسي، فهي تنقل الطفل من واقعه المقيّد إلى عالم أكثر رحابة، فتخفّف قلَقَه وخوفَه، وتخلُق الاتجاهات الايجابية لديه نحو الحياة (نجيب، ١٩٧٩، ٨٠) .

ولابد من وجود أسس ومعايير عند اختيار قصص الأطفال في المنهج المدرسي، فينبغي انتقاء النصوص المناسبة لطبيعة الطفولة، وأن تُقدَّم للطفل بعناية فائقة، وتربط المضمون بالواقع المحيط، وبما

يتناسب مع قدرات الطفل الذهنية؛ لكي تحقق القصة الأهداف المرجوة منها (الهيتي، ١٩٧٧، ١٣). يقول العيد جلولي: إن أدب الأطفال هو الإنتاج الذي يتلاءم مع الأطفال ويناسبهم، ولهذا اللون من الأدب خصائص وسمات توصلت إليها الدراسات الحديثة ومن هذه الخصائص:

- التناسب العقلي: معناه أن يتناسب هذا الأدب مع الأطفال حسب مستوياتهم العقلية وقدرتهم على الفهم والذوق، أي مراعاة السن التي يكتب لها، فليس ما يكتب لطلاب المرحلة الابتدائية مثل ما يكتب لطلاب المتوسطة أو الثانوي، فهم يختلفون في أطوار نموهم الجسمي والعوامل الفعالة في هذه الأطوار من بيئة وثقافة وخصائص ذاتية وغيرها.

-التناسب التربوي: ومعناه أن يتناسب هذا الأدب مع المفاهيم التربوية والأخلاقية، وهناك بعض الموضوعات التي يجب أن نبعد الأطفال عنها كآراء بعض البالغين في الحياة مثل صور الخوف والرعب والعنف والجريمة، مما يؤثر سلبا عليهم، فالطفل بطبيعته يقلد كل ما يسمعه أو يراه (جلولي، د.ت، ٩).

وعليه، يفترض أن يراعي واضع قصص الأطفال في المراحل الابتدائية مناسبة القصة للفئة العمرية، فكل فئة عمرية لها قصص مختلفة عن الفئات العمرية الأخرى، في حين لا يراعي كاتب الكبار هذه القضية، وهذه من أهم الاختلافات بين أدب الكبار وأدب الصغار، فعملية التلقي (ليست متعة جمالية خالصة ولكنها عملية مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والعمل، فعملية التلقي توسع أفق عالمنا وفهمنا لأنفسنا في الوقت نفسه، إننا نرى العالم في ضوء جديد كما لو كنا نراه للمرة الأولى، حتى الأشياء العادية والمألوفة في الحياة تظهر في ضوء جديد في العمل الفني، ومعنى ذلك أن العمل الفني ليس عالما منفصلا عن عالمنا الذاتي) (أبو زيد، ١٩٩٩م، ٣٩)

ثالثاً: الشخصية المؤنسنة مفهومها ودورها في قصص الأطفال:

الأنسنة هي إضفاء صفة النطق الإنسانية على الشخصيات القصصية بأنواعها المختلفة: الحيوانية، والنباتية، والجماد، أو أي شيء آخر. ويقوم الكاتب بأنسنتها لتكون الشخصية المؤنسنة تتكلم وتقوم بأفعال الإنسان وتشعر بمشاعره مثل الحزن والفرح والألم والحب والكره والغضب، والشخصيات المؤنسنة هي كائنات تدور حولها الأحداث، وشخصية البطل فيها محور أساسي يتوقف عليها اتجاه الأحداث ونوعية الحل، بل إنه يتوقف على وضوح شخصية البطل وجاذبيتها نجاح القصة وتوحُّد الطفل معها(سلوم، ١٩٧٩، ٩).

إنّ توظيف الأنسنة ليس جديداً في عالم قصة الطفل، بل تمتدّ جذوره إلى الماضي

إلى كتاب كليلة ودمنة، إذ ضَمّ تراثاً غنياً في أنسنة الحيوان، ووظفت فيه الشخصيات المؤنسنة لأهداف سياسية في أغلب الأحيان، فهي أشبه بعملية إسقاط أو إفراغ لمشاعر أو مكبوتات حول معوقات دون الإفصاح عنها (أبو ضيف، ١٩٨٣، ١٥٠).

وللشخصيات «المؤنسنة» دورٌ مهمٌ في قصة الطفل؛ كونها من الركائز المهمَّة التي يقوم عليها البناء القصصي الموجَّه للطفل، نظرا لقربها منه، فتلك العلاقة الحميمية والصداقة القوية التي تجمع بين الطفل والحيوان تشدُّ الطفل إلى هذه الكائنات فيتفاعل معها بشغف ومحبة؛ لأنها من عالم مختلف عنه، ما يثير الخيال لديه للاقتراب من هذه المخلوقات المختلفة عنه والتعرف عليها، فيتخيل أن لديها لغة ومشاعر قريبة منه، فتداعب خياله وتلامس قلبه، فيكون وجدانه قريب منها، فتثير خيال الطفل وتنمّيه أكثر من القصة الواقعية ذات الشخصيات البشرية؛ لأنّ خيال الطفل محدود ويصعب عليه تقبل الرسائل المجرّدة الجافة، أو غرس القيم في نفسه دون أن تكون قريبة من واقعه المحسوس. وقرب الطفل من الشخصيات المؤنسنة يثير المتعة لديه، وبالتالي يكون إيصال الرسالة للطفل من خلال الحيوانات أو النباتات أسرع من القصة العادية، ما يساعده على تقبّل القيم التربوية من هذه الشخصيات القريبة من نفسه (الهيتي، ١٩٧٧، ٨٧). وبهذا، تكون الأنسنة متمّمة للعملية التعليمية والتربوية، حتى أصبحت هذه الحيوانات في القصة ناقلاً تربوياً إلى الطفل.

وبهذا، يؤجّج القاص المبدع حواس الطفل ويستدرج فضوله نحو أمكنة وعوالم جديدة سواء أكانت واقعية أم خيالية يستطيع الطفل أن يدخل إليها بسلاسة واستمتاع، وهو يرتشف صوره ورموزه ويتأثّر بشخصياته وطرائق حواره الممتعة القريبة أو اللصيقة بذائقة الطفل. وتلك العوالم الخيالية تفتح أبوابها للأطفال، وتمنحهم أجنحة للتحليق فيها والاستمتاع بالأحداث المثيرة التي تجري هناك، وبناء علاقات صداقة وتضامن مع أبطالها، فيشترك الأطفال بكل وجدانهم مع ملاحم ومعارك وأسفار هؤلاء الأبطال، وقد يتقمص الأطفال تلك الشخصيات المحببة خارج عالمهم الخيالي والذهاب بهم لأرض الواقع.

ولهذا، يكون من الضروري جداً توخي الدقة والحذر في اختيار تلك الشخصيات وأولئك الأبطال، كيلا يكون التأثير سلبياً. فتتحول عملية بناء وتنمية أفكار وإحساس الأطفال وتوجيهها الوجهة السليمة إلى عملية هدم وتشويه لشخصية الطفل ونفسيته، وبهذا يكون مستقبل المجتمع برمته مدفوعا الى خطر محدِق(الياسري، ٢٠١٤، ٨٦)، وفي كتاب القراءة للمرحلة

الابتدائيـة اعتمـدت غالبيـة القصـص عـلى أسـلوب الأنسـنة في شـخصياتها لتعريـف الأطفـال ببعـض المعلومـات ولبـث القيـم فيهـا، إلا أنّ اختيـار بعـض هـذه القصـص لم يكـن مدروسـاً بعنايـة كافيـة، إذ تسـهم في تنميـة القيـم السـلبية بـدل الإيجابيـة لـدى الطفـل في المرحلـة الابتدائيـة، ومنهـا الخـوف والتحذيـر مـن الآخـر بصـورة متكـررة، وسـيتضح هـذا في تحليـل النـماذج القصصيـة المختـارَة في الدراسـة.

رابعـاً: الخـوف عنـد الطفـل أسـبابه والوقاية منه :

الخـوف حالـة انفعاليـة داخليـة يشـعر بهـا الإنسـان عنـد وجـود خطـر أو توقـع حـدوث الخطـر، وينقسـم الخـوف لعدة أقسـام منها: الخـوف الحقيقـي ويرتبـط بموضـوع محـدد، كالخـوف مـن مخاطـر الطبيعـة كالـزلازل والبراكـين والحيوانـات المفترسـة. والخـوف الوهمـي ويطلـق عليـه في علـم النفـس الخـوف المَـرَضي ويكـون مـن أشـياء غـير مخيفـة وسـببه اضطـراب نفـسي أو شـعور بالقلـق. وينشـأ الخـوف في نفـس الطفـل مـن الأسـلوب الخاطـىء في تربيـة الطفـل مـن الأب أو الأم أو مـن يقـوم عـلى أمـر الطفـل أو المدرسـة، وينشـأ خـوف الطفـل كذلـك نتيجـة للصدمـات النفسـية التـي يتعـرض لهـا كتعـرض الطفـل لهجـوم كلـب عليـه أو حيوانـات مفترسـة(بديوي، ١٩٩٤، ٥٦-٥٨).

ولوقايـة الطفـل مـن الخـوف ينبغـي إبعـاده عـن خـوف الآبـاء، وأن يكـون جـوُّ الأسرة باعثـاً عـلى الأمـن والطمأنينـة والتفـاؤل، فمـن الـضرر البالـغ عـلى نفسـية الطفـل أن نتحـدث أمامـه عـن التهديـدات والمخاطـر التـي سـتحدث، وينبغـي عـلى المـربي غـرس الشـعور بالأمـن في نفـس الطفـل مـن خـلال التعاطـف معـه، وفهـم أفـكاره ومشـاعره، وإبعـاده عـن مواقـف التوتـر والقلق(بديوي، ١٩٩٤، ٥٩).

خامسـاً: الخوف في القصة وأثره على الأطفال:

أثبتـت تقاريـر كثـيرة لهيئـات عالميـة تعـرّض الأطفـال لإصابـات نفسـية خطـيرة نتيجـة متابعـة القصـص التـي تحمـل التخويـف والعنـف والتهديـد التـي تقدمهـا مجـلات الأطفـال (معاطـي، ٢٠١٤، ١٥٨) أو تبثهـا قنـوات التلفزيـون التـي تسـتعمل فيهـا أسـاليب التهديـد والتخويـف؛ لهـذا يجـب أن يتدخّـل الكاتـب المبـدع ويجعـل عقوبـة المخطـئ أو المقـصر في القصّـة خاضعـة لقانـون حضـاري، يكـرّس فيهـا قيـم العدالـة، واحـترام القانـون، لا كـما حـدث في قصـة «الحـمار العنيـد» الـذي قـام الجمـل فيهـا بالانتقـام مـن الحـمار والإصرار عـلى معاقبتـه بمحاولـة قتلـه؛ لأنـه خالـف نصيحتـه وتسـبب بأذيتـه، لتنتهـي القصـة بمشـهد سـلبي مخيـف يتضمـن الكثـير مـن القسـاوة والوحشـية، ويـضرُّ بقيـم التسـامح ونبـذ العنـف. أمـا في قصـة «ذكاء الببغـاء»

التي لجأ فيها الببغاء إلى غش الآخر وخداعه بالتحايل عليه بالموت لكي يخرج من القفص، فلابد من معرفة متطلبات الطفل في هذي المرحلة، والأخذ بالاعتبار حاجته النفسية والتربوية .

تقول أخصائية علم النفس التربوي «هناء الرفاعي» تحت عنوان: «احذر أن تعلم طفلك الخوف من العالم»: (إنَّ بعض الآباء يعلِّمون أبناءهم بأن العالم خطير ليكونوا أكثر حذرا ويقظة، لكن بكل أسف هذه المعتقدات تضر بصحتهم ولا تجلب السعادة لهم وتجعلهم غير ناجحين، وغير راضين عن حياتهم، بل عرضة للاكتئاب والحزن والقلق، فهذه المشاعر السلبية تؤدي إلى عدم الشعور بالأمان وإلى النظرة التشاؤمية) (موقع الجزيرة الالكتروني، ٢٠٢٢) ولهذا، ينبغي التوقف عن استخدام التخويف والتحذير المتكرر كأسلوب تربوي بسبب أثره السلبي، فهذا الأسلوب خاطئ يضر بسلامة الطفل النفسية والعقلية، ويؤدي إلى إثارة مشاعر عميقة بالخوف والقلق لديه، غالباً ما تُنذر بخطر نفسي وسلوكي كبير على المدى الطويل، وتؤثر على حاجة الطفل إلى الأمن النفسي والطمأنينة وحاجته إلى الانتماء والتكيف مع الآخر والمجتمع (الشوربجي، ٢٠٠٣، ٧٩، ٨٦).

وبحسب ما جاء في بحث نشرته جامعة «هارفارد» عن تأثير الخوف والقلق على صحة وسلامة الأطفال، يؤكد علم النفس على أنَّ للتحذير المستمر آثاراً سلبية على صحة الطفل النفسية وقدراته على النمو، وقد يصعب تعافي الأطفال منها. وتشير الدراسات إلى أن تعرض الطفل للتحذير المتكرر يمكن أن يسبب له القلق المزمن على مدار حياته، ثم الخوف من المبادرة واتخاذ القرار مستقبلاً، والابتعاد عن الأصدقاء أو الأنشطة المعتادة، والانسحاب الاجتماعي، وبالتالي يعطّل كفاءة دوائر الدماغ، ما يؤدي إلى مشاكل جسدية ونفسية طويلة الأمد (Harvard،2010 ،9 University).

ويمكن القول: (إن أخطر كلمة تكتب هي الكلمة التي تكتب للطفل، لأنها تشكّل تكوينه كله ووجدانه وينبع منها سلوكه الذي سيشكّل فيما بعد مجتمعاً بأكمله) (الشاروني، ٢٠٠٠، ١٢٩).

سادساً: كيف تنجح الشخصية المؤنسنة في ترسيخ القيم الحسنة؟

تعدُّ الشخصية المؤنسنة محوراً أساسياً في قصص الأطفال، وينبغي على المؤلف إدراك أهميتها، ولذا «لابد من بذل الجهد المبدع لرسم شخصيات القصة بعناية، بحيث تحقق أهداف القصة، وتتناسب مع الأحداث، تتصرّف وتتحرّك وفق ما تقتضيه طبيعة الحياة الواقعية، والطفل بحاجة لرؤية الشخصية أمامه في القصة حية مجسمة، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص، حتى يرى النموذج

الـذي يحتذيـه فتـترك أثرهـا فيـه سـلباً أو إيجابـاً (بريغـش، ١٩٩٦، ٢١٩).

والأنسـنة في قصـص الأطفـال الحديثـة لم تعـد بمعـزل عـن تأثـير علـم نفـس الطفـل؛ (لأن الاسـتخدام العـام للمؤنسـنات بوصفهـا شـخصيات قصصيـة دون اعتبـار لمسـتوى النمـو والنضـج الـذي وصـل إليـه الطفـل لا يحـدث فيـه تأثـيراً) (أحمـد، ١٩٨٩، ٢٦٥)، وبالتـالي، عـلى المبـدع أو مـن يوظّـف الأنسـنة في قصـص الأطفـال أن يراعـي هـذه الخاصيـة؛ لأنّ الأنسـنة أصبحـت مرتبطـة بفهـم خصائـص النمـو في مراحلـه المختلفـة ومـدى الفائـدة المرجـوّة مـن اسـتخدامها في كل مرحلـة.

وعندمـا يختـار المؤلـف الشـخصيةِ المؤنسـنةِ بعنايـة سـيندفع الطفـل لمشـاركتها مواقفهـا والتفاعـل معهـا، فيتعاطـف معهـا، فيحـب مـا تحـب ويكـره مـا تكـره، وهنـا ينبغـي أن تتسـم الشـخصية المؤنسـنة بالوضـوح والصـدق والتشـويق والتميـز، ولا يمكـن تحقيـق ذلـك إلا إذا التزمـت القصـة ببيئـة الطفـل، وحملـت قيـم المجتمـع وأفـكاره، لـذا فـإن اختيـار بعـض القصـص المترجمـة سـوف تكـون بعيـدة عـن هـذه المميـزات الأساسـية للشـخصية المؤنسـنة، فضـلاً عـن أثرهـا المدمـر للطفـل في تمزيـق شـخصيته، وتفتيـت عنـاصر التـلاؤم والتوحـد داخلهـا، وتضعـه في موضـع التناقـض والحـيرة وفقدان الثقـة مـع واقعـه، فيكـون إقحامهـا في بيئـة الطفـل ومنهجـه الـدراسي خطـأً ينبغـي اجتنابـه والانتباه لـه (بريغـش، ١٩٩٦، ٢٢٠). لهـذا، يكـون الأصـل في اختيـار الشـخصية المؤنسـنة في قصـص الأطفـال أنهـا توضـع لتناسـب مسـتوى الطفـل، وتلائـم اهتماماتـه والقيـم النبيلـة لمجتمعـه، ومـن المهـم أيضـاً أن تتسـم الفكـرة المحيطـة بالشـخصية بالصـدق لـكي تـترك أثـراً جميـلاً في نفسـية المتلقـي الصغـير، وكذلـك الأسـلوب في عـرض الشـخصية ينبغـي أن يتصـف بالوضـوح والجـمال، ويتحقّـق ذلـك بالوعـي التـام بحاجـات الطفـل النفسـية والتربويـة، واختيـار مـا يناسـبه مـن القصـص والمعـاني في منهجـه الدراسي(مهنـي، ٢٠١٠، ٢٢).

ويتضـح مـما سـبق، أن وجـود الشـخصية المؤنسـنة في العمـل القصـصي في المراحـل الابتدائيـة أصبـح أكـثر مـن ضرورة لمخيلـة الطفـل، وحـذر بعـض الدارسـين مـن الاسـتعمال الـسيء أو السـلبي أو المخيـف في توظيـف الشـخصية المؤنسـنة نـوع «الحيـوان» عنـد بعـض الكتـاب ممـن تنقصهـم المعرفـة الدقيقـة لنفسـية الطفـل، وكيفيـة التأثـير فيهـا مـن خـلال القصـص (مهنـي، ٢٠١٠، ٢٢). فعـدم مراعـاة اختيـار الشـخصيات المؤنسـنة في القصـة أو كونهـا تسـبب خوفـاً مـا سـينعكس سـلباً عـلى تحقيـق التـوازن النفـسي للطفـل.

***المبحث الثاني «التطبيقي»:**

يتنـاول هـذا المبحـث تحليـل الشـخصيات المؤنسـنة في ثمـان قصـص في كتـب القـراءة

للمرحلة الابتدائية، ابتداءً من كتاب الصف الثاني الابتدائي إلى كتاب الصف الخامس الابتدائي، وكشف صناعتها للخوف والقيم السلبية.

- الشخصيات المؤنسنة في قصص كتب القراءة للمرحلة الابتدائية وقيمها السلبية:

اعتمدت الكثير من القصص في منهج القراءة للمرحلة الابتدائية على مبدأ التقابل في رسم الشخصيات المؤنسنة وتوظيفها، ونقصد بالتقابل الثنائيات الضدية التي تمثل صراع القيم، ففي الكثير من هذه القصص يتجسد هذا الصراع في المعاني والقيم التي أنتجتها، كالصراع بين الخير والشرّ. ونلحظ أنّ الصراع يبدأ من عناوين هذه القصص، كقصص كتاب القراءة للمرحلة الثالثة، مثل قصة «الديك والثعلب الماكر»، و«ليلى والذئب»، و«الفأرة الصغيرة والأسد». وقصص كتاب القراءة للمرحلة الرابعة، مثل قصة «الحمل والذئب»، و«الأسد والثور الأبيض»، و«الحمامة والثعلب». وقصص كتاب القراءة للمرحلة الخامسة مثل قصة «الذئب والقط»، وتحيل هذه العناوين إلى صراع بين الخير والشر، مثله صراع شخصيات شريرة مخادعة أو قاتلة ضد شخصيات مسالمة ضعيفة تطلب الأمان، ويمكن أن يتشكّل في ذهن الطالب مَلمَحَاً مُخيفاً للقصَّة تكشف عنه الثنائيات الضديّة في العنوان، أو كثرة الشخصيات المخيفة في هذه القصص.

وعند الانتقال من عنوان القصَّة إلى قراءة شخصياتها المؤنسنة التي أُسنِدَت إليها فكرة القصة وقيمها ننتقل إلى معرفة ثانية عنها تزيد من دور الصراع الذي ألمَحَ إليه عنوانُ القصة، وفيما يلي يعرض البحث نماذج قصصية من كتب القراءة للمرحلة الابتدائية، ويكشف ما أنتجته الشخصيات المؤنسنة فيها من قيم سلبية مثل: ١- الكذب والاحتيال على الآخر، كما في قصة «ذكاء الببغاء» في الصف الثاني الابتدائي، وقصة «الديك والثعلب الماكر» في الصف الثالث الابتدائي، وقصة «ليلى والذئب» في الصف الثالث الابتدائي، وقصة «الحمار والثور» في الصف الثالث الابتدائي. ٢- الخوف من الآخر والحذر الشديد منه، كما في قصة «الحمامة والثعلب» في الصف الرابع الابتدائي وقصة «الحمار العنيد» في الصف نفسه، ٣- الانتقام من الآخر ورفض التسامح، كما في قصة «الحمار العنيد» في الصف الرابع الابتدائي. ٤- إشاعة صور العنف والقتل، كما في قصة «ليلى والذئب» في الصف الثالث الابتدائي المرعبة للطفل، وقصة «الحمار العنيد» في الصف الرابع الابتدائي. وفيما يلي تحليلاً لنماذج من الشخصيات المؤنسنة في قصص كتب القراءة للمراحل الابتدائية، وما أنتجته من قيم سلبية.

<u>الشخصيات المؤنسنة في قصص كتاب القراءة للصف الثاني الابتدائي:</u>

قصة «**ذكاء الببّغاء**»: (**كان في بغداد تاجر، عنده ببّغاء، يفهمُ كلامَها، وتفهمُ كلامه. أراد التاجرُ أن يسافرَ إلى بلاد السودان، موطن الببغاء، فقالت له: يا مولاي ... إذا رأيت أصحابي هناك، قل لهم: عندي طائر منكم في قفص من حديد، لا يستطيع الطيران إليكم. فانظروا في أمره !! فلما وصل التاجر، أبلغ الرسالة إلى أصحاب الببغاء، فطاروا، ووقعوا على الأرض وماتوا! ولما رجع إلى بغداد، أخبر الببغاء بما جرى. فضربت بجناحيها، وألقت نفسها كأنها ميتة، ولمّا أخرجها من القفص ورماها بعيداً، طارت وقالت: يا مولاي ... إنّ أصحابي لم يموتوا، ولكن علّموني طريقَ الخلاص**) (قراءتي للصف الثاني الابتدائي، ٢٠٢٤، ٧٥).

بدايةً، إنّ هذه القصة اقتُبِست من كتاب «المثنوي» لجلال الدين الرومي وهو من الكتب الصوفية، وقد احتوى على قصص تسرد معاناة الإنسان للوصول إلى الله تعالى. وتعدّ هذه القصة من إحدى القصص الرمزية التى رواها جلال الدين الرومى لأخذ الحكم والمواعظ الأخلاقية منها(شتا، د.ت، ١٦٣).

وظّفَت هذه القصة الشخصية المؤنسنة «الببغاء» التي احتالت على صاحبها التاجر عندما حمّلته رسالةً مخادعةً لأصحابها تطلب منهم ضمنياً طريقة معينة للهروب من التاجر، وأَوصَلَ التاجرُ رسالتها بإخلاص لأصحابها من غير أن يفهم الغاية منها، ففهم أصحابها المغزى من الرسالة، فخدعوا التاجر، وتظاهروا أمامه بالموت؛ لكي ينقل للببغاء ما حدث، وعندما نقل التاجر ما شاهدهُ، فهِم الببغاء إشارتهم وخطتهم لكيفية هروبه من قفص التاجر، ثم نفّذ الببغاء هذه الخطة، واحتال على صاحبه التاجر بالتظاهر بالموت كذِباً كما فعل أصحابه، فصدّقه التاجر الطيب، وأخرجه من القفص، فهرب الببغاء، وكشف له عن حيلته متفاخراً بها بقوله: (**إنّ أصحابي لم يموتوا، ولكن علّموني طريقَ الخلاص**).

أنتجت الشخصية المؤنسنة «الببغاء» قيمة سلبية في القصة، هي الكذب وخداع الآخر «التاجر»، فكاتب القصة اهتم بالغاية وهي السعي للحرية، ولكن الوسيلة لتحقيق تلك الغاية لم تكن مناسبة؛ لأنها اعتمدت على الكذب وخداع الآخر، وكأنّ بطل القصة «الببغاء» يبرّر للأطفال الكذب والخداع إذا أراد الإنسان الخروج من مشكلة معيّنة، وهذا يتعارض مع القيم الأخلاقية، وتحديداً القاعدة الاخلاقية «النجاة في الصدق» التي تُعلِّمنا أن طريق النجاة من أي مشكلة هو أن يكون الإنسان صادقاً غير كاذب. علماً أنّ منهج اللغة العربية نفسَه الذي اختار هذه القصة يقدِّم درساً آخر لطلابه بعنوان «النجاة في الصدق» في الصف الخامس الابتدائي(القراءة العربية للصف الخامس الابتدائي، ٢٠٢٤، ١٢٦)، وهنا،

يتضح الاضطراب والاختلاف في تعليم القيم للأطفال في هذا المنهج الدراسي. إضافةً لما تقدم، يتبيّن أنّ هذه القصة لم تُكتَب للأطفال، بل للكبار، بدليل أنها اقتُبِست من كتاب «المثنوي» لجلال الدين الرومي (ت١٢٧٣هـ)، ويعدُّ «المثنوي» من أهمِّ الكتب الصوفية التي احتوت قصصاً تسرد معاناة الإنسان للوصول إلى الله، (شتا، د.ت، ١٦٣)، فالقصة أكبر من مستوى الطالب في مرحلة الثاني ابتدائي لنوع الصراع المعقد فيها، وما تحمله شخصياتها المؤنسنة من لغة رمزية وإشارات ضمّنها فيها جلال الدين الرومي تكون بعيدة عن قدرة الطفل المعرفية في هذه المرحلة، فالصراع في القصة يدور حول الخوف والحذر الشديد من العدو، وكيفية الخلاص من العدو. وهنا، تسهم القصة في صناعة الحذر من الآخر، والشك والخوف منه.

الشخصيات المؤنسنة في قصص كتاب القراءة للصف الثالث الابتدائي:

قصة «الديك والثعلب الماكر»: **(رأى ثعلبٌ ديكاً يقفُ على غصنِ شجرةٍ، ففكّرَ في حيلةٍ ليَأكُلَهُ. وقف الثعلب تحت الشجرة وقال للديك: مرحباً يا صديقي، لقد تبتُّ فلن آكلَ الدجاجَ، أريدُ أن أسمعَ صوتَكَ الجميلَ، انزِلْ والعَبْ معي. قال الدِّيكُ: أيُّها المُحتالُ تريدُ أن تأكلني، كيف أصدِّقكَ وأنت عدوِّي؟ قال الثعلبُ: هل سمعتَ الخبرَ الجديد؟ قال الدِّيكُ: وما الخبرُ الجديدُ؟ قال الثعلبُ: اتفقت حيواناتُ الغابةِ أن تعيشَ بلا عِراكٍ ، الكلبُ لا يطاردُ القِطَّ، والقِطُّ لا يأكلُ الفأرَ، والذئبُ لا يؤذي الغنَمَ، والثعلبُ لا يُعادي الدَّجاجَ، قال الدِّيكُ هذا كلامٌ جميلٌ، سأنادي كلاب القريةِ لتلعب معنا. صاحَ الدِّيكُ وجاءت الكلابُ تركضُ، فسَمَعَ الثعلبُ الماكرُ نُباحَ الكلابِ فولَّى هارباً)**(قراءتي للصف الثالث الابتدائي، ٢٠٢٤، ٤٥).

بدأت القصة بتفكير الثعلب بخطة يمسك بها الديك ليأكله، ومن هذه الفكرة بدأ الصراع يتصاعد بين الشخصيات المؤنسنة في القصة، شخصية الثعلب بما تحيله من معاني الخداع والمكر والرغبة في الإيقاع بالآخر، وشخصية الديك بما تحيله من ضعف ومسالمة، وقد حاول الثعلب أن يخدع الديك بإظهار المحبة له لكي يستدرجه ويفترسه، وانتهت القصة باستعانة الديك بالكلاب لتوفير الأمن له والخلاص من الثعلب الماكر الشرير. وتدور فكرة القصة حول الحذر من الأشرار، وممن يحاولون خداع الآخر بالكلام الطيب، وعليه، يجب ألا يأمن الإنسان من الأشخاص الذين لا يعرفهم جيدا حتى لا يُعرِّض نفسه للمخاطر. ففكرة القصة تدور حول الحذر من الأشرار، وتشير من خلال صراع شخصياتها المؤنسنة بوجود واقع سيء في الحياة يجب

الحـذر منـه، ففـي الحيـاة أشـخاص أشرار مخادعـون، ينبغـي الحـذر الشـديد منهـم. وبهـذا، أنتجـت الشـخصيات المؤنسـنة في القصـة قيـماً سـلبية كالخـوف مـن الواقـع، والتحذيـر الشـديد مـن الآخـر؛ لأنـه يشـبه الثعلـب الماكـر.

أمـا في قصـة «ليـلى والذئـب» المشـهورة (قـراءتي للصـف الثالـث الابتـدائي، ٢٠٢٤، ١٠٤) يتكـرر الحـذرِ من الأشرار، فالشـخصية المؤنسـنة الذئـب مثّـل الخـداع والغـش والغـدر بالأشـخاص، وشـخصية ليـلى مثّلـت بـراءة الطفولـة، وبـدأ الـصراع في القصـة مـن بدايـة خـروج ليـلى مـن بيتهـا ولقائهـا مـع الذئـب، وازداد هـذا الـصراع عندمـا صدقـت ليـلى الذئـب المخـادع، وازداد الصراع وحشيةً وقسـوةً عنـد هجـوم الذئـب عـلى جـدة ليلى وإصابتهـا بجـروح. وفي هـذه القصـة يتكـرر موضـوع الحـذر مـن الأشرار، ولكـن بمشـاهد أكـثر خوفـاً وقسـوة ورعبـاً، وتكشـف لغـة القصـة هـذه الوحشـية مـن خـلال الكلـمات التاليـة: (ذئـب، هجـم، يفترسـها، جـروح، الخبيـث، أسـنان طويلـة، صراخ ليـلى، ضربـه بالفـأس، قتلـه)، فاحتشـدت القصـة بمشـاهد الخـوف مـن أنيـاب الذئـب والمكـر والـصراخ والرعـب مـن الافـتراس، ثـم انتهـت بالقتـل والمـوت.

والسـؤال الـذي يُطـرح: مـا فائـدة هـذه القصـة المرعبـة للطفـل في الصـف الثالـث الابتـدائي؟ وهـل تأكـد واضـع هـذه القصـة المرعبـة في المنهـج أنهـا لا تسـبب الخـوف والذعـر ليـلاً لهـؤلاء التلاميـذ الصغـار؟ فمهـما كان في القصـة مـن قيـم تربويـة، إلا أنهـا أنتجـت قيـماً سـلبيةً كالخـوف وتهديـد الأمـن النفـسي للطفـل.

أمّـا في قصـة «الحـمار والثـور» في كتـاب الثالـث الابتـدائي، يقـول: **(كان لفـلاحٍ حـمارٌ وثـور. وكان الفـلاحُ يركـبُ الحـمارَ مـرَّةً في الأسـبوعِ ليذهـبَ إلى سـوقِ المدينـةِ ويأخـذُ الثَّـورَ إلى الحقـلِ ليحـرثَ الأرضَ كلَّ يـومٍ. وفي أحـدِ الأيـامِ قـال الثَّـورُ للحـمارِ: لقـد تعبـتُ كثـيراً. إلى متـى أعمـلُ في الحراثـةِ؟ قـال الحـمارُ: تمـارَضْ، ولا تـأكُلْ علفـكَ. فـإذا رآكَ الفـلاحُ عـلى هـذه الحـالِ تـرككَ ولم يأخُـذْكَ للحراثـةِ. وفي صبـاحِ اليـومِ الثـاني جـاءَ الفـلاحُ فوجَـدَ الثَّـورَ نائمـاً لم يـأكُلِ العلَـفَ فتركَـهُ وأخـذَ الحـمارَ إلى الحقـلِ وحـرثَ عليـهِ طـولَ اليـومِ فتعِـبَ الحـمارُ تعبـاً شـديداً، ونـدِمَ عـلى مـا قالـه للثّـورِ. وفي المسـاءِ عـاد الحـمارُ مـن الحقـلِ فسـألَهُ الثّـورُ: كيـف حالُـكَ يـا أخـي؟ قـال الحـمارُ: أنـا بخـيرٍ، غـيرُ أني سـمعتُ الفـلاحَ يقـولُ لزوجتـهِ: إذا بقِـيَ الثّـورُ مريضـاً، بعتُـهُ عـلى الجـزَّارِ قبـلَ أن يمـوتَ فأخـسرَ ثمنـهُ. خـافَ الثّـورُ فنهـضَ وأكلَ علَفَـهُ. وفي الصبـاحِ جـاءَ الفـلاحُ وأخـذهُ إلى الحقـلِ، فمـشى الثّـورُ بنشـاطٍ)** (قـراءتي للصـف الثالـث الابتـدائي، ٢٠٢٤، ٧٢).

في قصـة «الحـمار والثـور» يتكـرر الحـذر مـن الأشرار، فالشـخصية المؤنسـنة «الحـمار» مثّـلت الخـداع والكـذب، والشـخصية

المؤنسنة «الثور» مثّلت الكسل والغباء، وبدأ الصراع بين الشخصيتين حين تعبَ الثور ورغبَ في الاستراحة وتركِ عمله، واقتراح الحمار له أن يكذِبَ على صاحب العمل ويتمارض حتى يتخلص من مشقة العمل، إلا أنّ هذه الفكرة عادت بالضرر على الحمار نفسه؛ لأنه أصبح يعمل عمل الثور، ففكّر الحمار في خدعة أخرى تخلّصه من تعب العمل، وانتهت القصة بانتصار الحمار الكاذب المخادع على الثور المغفل الذي انخدع بكلام الحمار.

استطاعت القصة بشخصياتها المؤنسنة أن توصل للتلاميذ الأطفال فكرة عدم التذمّر من العمل وتفضيل الراحة والكسل، ولكن في المقابل جعلت الحمار الكاذب المخادع هو المنتصر، وبرّرت الكذب والخداع لمن أرادَ التخلُّص من أمرٍ مزعج. وهنا، ينبغي من واضع القصة في المنهج الالتفات إلى أنّ المتلقي للقصة طفل، وقد يتأثر بفعل شخصية بطل القصة المنتصر وهي شخصية مخادعة، ومن طبيعة الأطفال تقليد أبطال القصة. وبهذا، روّجت القصة من خلال الشخصية المؤنسنة «الحمار» لقيمةٍ سلبيةٍ وهي الكذب والخداع للتخلص من المواقف الصعبة.

<u>الشخصيات المؤنسنة في قصص كتاب القراءة للصف الرابع الابتدائي:</u>

قصة «الحمامة والثعلب»: **(كانت حمامة تسكن في أعلى الشجرة مع أفراخها لتحمي نفسها وأفراخها من الأعداء، وكان يأتي إليها ثعلب يهددها بالصعود وأكل أفراخها، أو ترمي إليهِ بأحدِ الأفراخِ، فتخافُ الحمامةُ، وترمي إليه بفرخٍ. وفي أحدِ الأيامِ مرَّ بالحمامةِ مالكٌ الحزينُ وهي في عشّها فرآها حزينةٌ وسألها عن سببِ حزنها، فقصّت عليه حكاية الثعلب معها. فقال لها: إنَّ الثعلبَ لا يستطيعُ الصّعودَ إليكِ، فإذا جاءكِ ثانيةً، فلا تستجيبي لتهديده، ولا تخافي. ولما جاء الثعلبُ إلى الحمامة، طلب إليها أن تلقي إليهِ بأحدِ أفراخها، فرفضت وقالت له: اصعد إنِ استطعت. فقال لها الثعلبُ: ومن علّمكِ هذا؟ قالت: مالكٌ الحزينُ. ذهب الثعلبُ إلى مالكِ الحزينِ فاحتالَ عليهِ وقال له: أنت أبرعُ الطيورِ في الطيران، ولكن ماذا تفعل إذا هبّت عليك عاصفة من جميع الجهات؟ قال مالك الحزين: أضعُ رأسي بين جناحيّ. قال الثعلبُ: أرني كيف تفعلُ ذلك. فلما وضعَ مالكُ الحزينُ رأسَهُ بينَ جناحَيهِ، هجمَ عليه الثعلبُ وأكله وهو يقول له: يا عدوَّ نفسِهِ تعلّمُ غيركَ وتنسى نفسَكَ!)** (القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي، ٢٠٢٤، ٦١).

هذه القصة مقتبسة من كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع، ويقال أن ابن المقفع ترجمها من الأدب الهندي، وتصور القصة ما كان سائداً آنذاك من ظلم وسذاجة ومكر وعدم حذر، وهدف ابن المقفع في

هـذه القصـة إصـلاح المجتمع.(ابـن المقفـع، ١٩٨٩، ٢٤٠). وتشـيرُ شـخصية «الثعلـب» إلى دلالات المكـرِ والخـداع، وتقابلهـا شـخصية «الحمامـة» أشـارت إلى دلالاتِ الضعـفِ والسـلام والـبراءة، ليكـونَ الـصراعُ بـين الشـخصيتين في هـذه القصـة قويـاً ومخيفـاً، فالثعلـب يخطـط لأكل الحمامـة وأفراخهـا الصغـار، والحمامـة يتَطلّـب منهـا الحـذر الشـديد والدقـة البالغـة في التعامـل مـع العـدو المتربّـص بهـا، وتظهـر شـخصية مؤنسـنة ثالثـة «مالـك الحزيـن» الـذي يتدخّـلُ لحـلِّ هـذا الـصّراع، فقـدّمَ النصيحـةَ للحمامـةِ وأَرشـدَها إلى طريـقِ النّجـاة وحيلة للتخلّـص مـن العـدوّ الماكـر الثعلـب، إلا أنّ مالـك الحزيـن نـسِيَ أن يحـذرَ مـن خـداع الثعلـب الماكـر، ووقـع هـو الآخـر ضحيـة مكـر الثعلـب وخداعـه عـلى الرغـم مـن ذكائـه، حتـى هجـم عليـه الثعلـب وقتلـه وأكلـه.

اسـتطاعت القصـة بشـخصياتها المؤنسـنة أن توصِـلَ للأطفـال فكـرة الأخـذ بالنصيحـة وعـدم إهمالهـا، وعـلى الشـخص الناصـح أن ينتبـه قبـلَ غـيره مـن الوقـوع في الخطـأ كـما وقـع بـه مالـك الحزيـن مـن خطـأ وغفلـة، أو الحمامـة مـن خـداع الثعلـب لهـا، ولكـن القصـة انتهـت بانتصـار الشـخصية المؤنسـنة المخادعـة الثعلـب، فقـد خـدع الحمامـة وأخافهـا ثـم أكل فراخهـا، وكذلـك خـدع مالـك الحزيـن وأكلـه، وبهـذا تغلّـب خـداع الثعلـب عـلى الاثنـين معـاً الحمامـة ومالـك الحزيـن، أي بانتصـار الـشر المتمثّـل ببطـل القصـة الثعلـب.

ويتكـرّر انتصـار الـشرّ والخـداع مـرّة أخـرى في هـذا الكتـاب، مـن خـلال الشـخصيات المؤنسـنة المتوحّشـة، ويتكـرر معهـا الخـوف والحـذر مـن الآخـر، فالقصـة انتهـت بفـوز بطلهـا الثعلـب المخـادع، مـا يعطـي انطباعـاً للتلميـذ الطفـل بقـوة الـشر وغلبتـه في الواقـع وضعـف الخـير وهزيمتـه؛ لأنهـا تنقـلُ صـورةً سـلبيةً للتلاميـذ عـن الحيـاة والواقـع، وتسـبّب الخـوف وعـدم الثقـة بالآخـر، فهـي غـير مناسـبة لهـذه المرحلـة العمريـة، خصوصـاً إذا علمنـا أن هـذه القصـة منقولـة مـن قصـص «كليلـة ودمنـة» لابـن المقفـع، وقـد كُتِبَـت للكبـار؛ لـكي يوصـل لهـم رسـائل رمزيـة سياسـية، وليـس لهـذه الفئـة العمرية الصغـيرة.

وفي قصـة «الحـمار العنيـد» في الكتـاب نفسـه: **(هـرب جمـل وحـمار مـن صاحبهما، وسـارا معـاً، حتـى وصـلا إلى غابـة بجوارهـا مرعـى نظيـف، وبعـد أن أقامـا أيامـاً في الغابـة والمرعـى، قـال الحـمار للجمـل: إنني أشـعر براحـة وسرور، وأريـدُ أن أغنـي بصـوتي الجميـل. فقـال الجمـلُ: لا تفعـلْ يـا صاحبـي. فـإني أخـافُ أن يسـمعنا الإنسـان، فيأخذنـا ويربطنـا ويضربنـا. فقـال الحـمار: أنـا طـربٌ، فلابـدّ أن أغنـي. نهـقَ الحـمارُ نهيقـاً عاليـاً، فسـمِعَهُ رجـالُ القافلـةِ التـي كانـت تمـرُّ بالقـرب مـن المرعـى، فقبضـوا عـلى الحـمار والجمـل لكـنَّ الحـمار حـرَنَ**

ورفـضَ أن يمـشي، فحملـوه ووضعـوه عـلى ظهـرِ الجمـلِ، وسـارَ الجمـلُ مـع القافلـةِ. مـرَّت القافلـةُ عـلى جـسرِ فـوقَ نهـرٍ، ولمّـا أرادت العبـور، شـعرَ الجمـلُ بالتعـب. فقـال للحـمار: لقـد طربـتُ عـلى غنائـك في الغابة، أنـا أريـدُ أن أرقـصَ. فقـال لـه الحـمارُ: لا تفعـل يـا صديقـي، فـإنّ في ذلـك هـلاكي. قـال الجمـل: قـد زاد طـربي، فأخـذ يرقـص ويرقـصُ حتـى سـقط الحـمارُ في مـاء النهـر مـن فـوق الجـسر) (القـراءة العربيـة للصـف الرابـع الابتـدائي، ٢٠٢٤، ١٣٣).

اسـتطاعت القصـة بشـخصياتها المؤنسـنة «الجمـل والحـمار» أن توصِـلَ فكـرة الحـذر مـن مخالفـة النصيحـة، ومـا يترتـب عليهـا مـن مخاطـر مخيفـة، ويتضـح هـذا المعنـى مـن مشـهد الخـوف مـن الإنسـان وتهديـده للجمـل والحـمار، ووحشـيته ضـد الحيوانـات وعـدم الرحمـة، فهـو إذا وجدهـما فسـوف يربطهـم ويضربهـم، فطغـى مشـهد الخـوف والحـذر مـن الإنسـان عـلى القصـة، فهـو يـضرب الحيوانـات ويعذبهـا.

وكذلـك كشـف الـصراع بـين الشـخصيات المؤنسـنة عـن قيـمٍ سـلبيةٍ أخـرى مثـل حقـد الجمـل عـلى الحـمار، وعـدم مسـامحته عـلى خطئـه، والاصرار عـلى الانتقـام والثـأر منـه، ومحاولـة قتلـه عـلى الرغـم مـن توسّـل الحـمار (فقـال لـه الحـمارُ: لا تفعـل يـا صديقـي، فـإنّ في ذلـك هـلاكي)، فشـخصية «الجمـل» كشـفت عـن قسـاوة ووحشـية؛ لأنـه انتقـم مـن صديقـه الحـمار بتعمّـد إسـقاطه في النهـر، وفي ذلـك هـلاك الحـمار وموتـه، فلـم يسـتجب لتوسـل الحـمار لـه بـأن يسـامحه، فكشـفت شـخصية «الجمـل» عـن قيـمٍ سـلبيةٍ عـدّة مثـل عـدم المسـامحة، والحقـد، وتبريـر الانتقـام مـن الآخـر المقـصّر، والثـأر منـه إذا ارتكـب خطـأً مـا معنـا.

والسـؤال الـذي يُطـرح، إذا كان واضـع هـذه القصـة يعلـم بإمكانيـة الطفـل ورغبتـه في تقليـد أبطـال القصـص في حركاتهـم وسـلوكهم، كيـف يضـع هـذه القصـة بشـخصيات تشـجّع وتدعـو إلى الانتقـام؟ فهـي ضـدّ قيـم التسـامح والعفـو عـن المسيء، بـل توصـل رسـالة خطـيرة للمتلقـي «الطفـل» هـي أن الانتقـام أمـر مقبـول، مـا يسـبب تناقضـاً مـع قيـم أخلاقيـة ودينيـة مثـل التسـامح والعفـو عـن المسيء، قـال تعالى:(فمـن عفـا وأصلـح فأجـره عـلى اللـه) (سـورة الشـورى: ٤٠).

المرحلة الدراسية	اسم القصة	الصفحة	الشخصية المؤنسنة	نوعها	دورها في القصة	القيم السلبية
الثاني الابتدائي	**ذكاء الببغاء**	**٧٥**	**الببغاء**	حيوان مخادع ضد الإنسان.	الكذب وخداع الإنسان للهروب منه والتحرر.	**الخوف من الآخر والكذب** والخداع
الثالث الابتدائي	**الديك والثعلب الماكر**	**٤٥**	**الثعلب والديك**	حيوان متوحش ضد حيوان أليف.	قتل الديك وأكله.	**الخوف من الآخر والكذب والخداع**
	الحمار والثور	**٧٢**	**الحمار والثور**	حيوان مخادع ضد حيوان غبي.	خداع الثور لأجل الهروب من العمل.	**الكذب وخداع الآخر**
	ليلى والذئب	**١٠٤**	**الذئب**	حيوان متوحش ضد طفلة بريئة.	قتل الطفلة ليلى وقتل جدتها وأكلهم.	**الخوف من الآخر والكذب** والخداع
	الفأرة الصغيرة والأسد	**١٣٤**	**الأسد والفأر**	حيوان متوحش ضد حيوان أليف.	الصراع بين القوي والضعيف.	**لا توجد**
الرابع الابتدائي	الحمامة والثعلب	٦١	الثعلب والحمامة ومالك الحزين	حيوان متوحش ضد حيوان أليف.	قتل الحمامة ومالك الحزين وأكلهم.	**الخوف من الآخر والكذب** والخداع
	الحمار العنيد	١٣٣	الحمار والجمل	حيوان مخادع ضد حيوان غبي.	الانتقام من الحمار وقتله لأنه سبب المتاعب للجمل.	الخوف والانتقام من الآخر وعدم المسامحة.
	مثل في حكاية	٥١	الأسد والثيران الثلاثة	حيوان متوحش ضد حيوان أليف.	قتل الثيران وأكلهم.	**الخوف من الآخر والكذب** والخداع
الخامس الابتدائي	الصديقان	٧٦	الذئب والقط والغراب	حيوان متوحش ضد حيوان أليف.	الصراع مع الحيوان الأليف من أجل قتله وأكله.	**الخوف من الآخر والكذب** والخداع

ويبيّن الجدول الآتي الشخصيات المؤنسنة ونوعها ودورها في القصة، وما أنتجته من قيم سلبية في قصص كتب القراءة للمرحلة الابتدائية.

يتضح من الجدول تكرار الشخصيات المؤنسنة من نوع «الحيوان المتوحش» مثل: الذئب والثعلب والأسد، وما أنتجته من قيمٍ سلبيةٍ مثل: الكذب، والخداع، والتحذير من الآخر، والانتقام، والقتل. ومثلت بعض الشخصيات المؤنسنة الصراع بين الخير والشر، وهذا الصراع انتهي في بعض القصص بانتصار الكذب كما في قصة «ذكاء الببغاء» في كتاب الصف الثاني الابتدائي التي انتهت بانتصار الببغاء الكاذب على التاجر. وقصة «الحمار والثور» في كتاب الصف الثالث الابتدائي التي انتهت بانتصار الحمار المخادع، وبالتالي انتصر الخداع. وفي قصة «الحمار العنيد» في كتاب الصف الرابع الابتدائي انتهت بانتصار الجمل المنتقم الذي قتل صاحبه الحمار، وبالتالي انتصر الشر والقتل. ومما تقدم يتضح أنّ هذه الشخصيات المؤنسنة نقلت إلى الأطفال صوراً سلبية، بل مخيفة عن الواقع والمجتمع، فقد اتصف أبطالها بالكذب والخداع والقتل، والطفل عندما يقرأ قصّته يعيش تفاصيلها، ويحاول محاكاة حركات أبطالها، فتبدو له حاضرة معه يكلّمها أحياناً وتكلمه.

ويتبين من الجدول أن أغلب القيم السلبية التي أنتجتها الشخصيات المؤنسنة في المرحلة الابتدائية اندرج تحت حقل «الخوف» و»التحذير من الأشرار»، بينما لم تنل القيم الأخرى في قصص الأطفال مثل قيم الوطنية، أو القيم الجمالية، أو القيم الانسانية كالرحمة والمسامحة والتفاؤل والأمل بالله القدر الكافي من الاهتمام، وبالتالي أسهمت الشخصيات المؤنسنة في مرحلة الدراسة الابتدائية في صناعة الخوف من الآخر لدى التلاميذ الأطفال. إنّ التحذير المتكرر للطفل وتخويفه من الواقع ليس طريقة تعليمية جيدة، بل ضررها أكثر من نفعها، فلندع الذئاب الشريرة والثعالب الماكرة والأسود المتوحشة تظل بعيدة عن أطفالنا التلاميذ، فلا توجد ضرورة تربوية لهذه القصص التي وظفت الكثير من الحيوانات المتوحشة، وإذا كانت الغاية من هذا النوع من القصص تعليم التلاميذ، فلا ينبغي للمرء أن يستخدم الخوف للحصول على الطاعة، ولتكن قصصنا تتضمن شخصيات تظهر أن العالم يكثر فيه الخير، ويكثر فيه التسامح وحب الآخر، شخصيات مؤنسنة تكون بعيدة كل البعد عن العنف والانتقام والاحتيال على الآخر وخداعه والكذب عليه. ولتكن هذه الشخصيات المؤنسنة محببة لنفس الطفل قريبة من براءته، ويفضل أن تأتي من حقل النباتات والطيور والفراشات وأزهار الحقول الجميلة، لتكثر فيها الأشجار المثمرة، ويكثر فيها الفرسان الشجعان المحبين للخير ومساعدة الآخرين.

وعليه، ينبغي أن يكون البطل الذي تمثله "الشخصية المؤنسنة" في قصص الأطفال يحمل صفات القدوة لهم؛ ليتم التعلم

واكتساب القيم الحسنة من خلالها وعن طريقها، حيث تنتقل الفكرة بطريقة أسهل، وتكون أكثر إقناعاً وأقوى تأثيراً في المتلقي /الطفل(الشاروني، ٢٠٠٠، ١٢٩).

وختاماً، يمكن القول: (إن أخطر كلمة تكتب هي الكلمة التي تكتب للطفل، لأنها تشكّل تكوينه كله ووجدانه وينبع منها سلوكه الذي سيشكّل فيما بعد مجتمعاً بأكمله)(الشاروني، ٢٠٠٠، ١٢٩).

الخاتمة والنتائج:

1.تسهم قصص الأطفال في بناء شخصية الطفل في المرحلة الابتدائية؛ كونها وسيلة مهمة لغرس القيم والأخلاق عند الأطفال، وتساعدهم على فهم الحياة المحيطة بهم، وتمكّنهم من التكيف مع الآخرين من خلال تعزيز الانتماء إلى الجماعة، وتنمية شعور المحبة للآخرين.

2.اعتمدت أغلب الشخصيات المؤنسنة في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية على نوع واحد من المؤنسنات هو «الحيوان»، وغابت الأنواع الأخرى من المؤنسنات كالنبات ما عدا قصة (الفصول الأربعة) الوحيدة في كل مراحل الابتدائية، كانت الأنسنة فيها من نوع النبات.

3.تضمنت كتب القراءة للمرحلة الابتدائية قصصاً وظَّفَت الكثير من الحيوانات المتوحشة في شخصياتها المؤنسنة.

4.الشخصيات المؤنسنة في قصص كتب القراءة أنتجت قيماً سلبية مثل الكذب، والخداع ، وتكرار التحذير من الآخر، والانتقام، وعدم المسامحة أو العفو، والقتل.

5.اندرجت القيم السلبية التي أنتجتها الشخصيات المؤنسنة تحت حقل الخوف من الآخر.

6.تؤثر القصة بفكرتها وشخصياتها على أمن الطفل النفسي، لذا ينبغي لواضع قصص الأطفال في المنهج الدراسي الالتفات لهذا الأمر، وأن يخضع اختيار القصص لعلماء نفس مختصين.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة فإنها توصي بما يلي:

1.إعادة النظر في القصة في منهج اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، وتحديداً القصة المشتملة على الشخصيات المؤنسنة؛ كي تلائم المرحلة العمرية والنفسية للطالب، خصوصاً أن القصة وظيفتها متممة للعملية التعليمية والتربوية، لا متناقضة معها، بل تكون مصححة لبعض القيم السلبية السائدة. وهذا يضع مسؤولية كبيرة على واضعي قصص الأطفال في المراحل الابتدائية، لكون تأثير الأدب على سلوك الطفل في بعض الأحيان أقوى من تأثير الأسرة والمجتمع عليه؛ لأن الأدب يستخدم طرقا أكثر إبهاراً، فالأدب على الرغم من كونه عملاً إنسانياً فهو أداة خطيرة في توجيه سلوك الأطفال.

2.تنمية مشاعر الأطفال الإيجابية تجاه الآخرين، كالاهتمام بحقوق الإنسان، وحب الناس، والأمل في الحياة، لتخفيف توترات الطفل النفسية من خلال إبعاده عن الخوف والقلق والحذر من الآخر، وتطهير نفوسهم من الانفعالات الضارة، لكي تسهم القصة في نمو شخصية الطفل في جوانبها المختلفة.

3.تنمية الجوانب الجمالية لدى الطالب من خلال توظيف الشخصيات المؤنسنة من نوع النبات كالأزهار أو الأشجار أو الثمار الجميلة، فقد افتقرت القصص في منهج اللغة العربية لهذا النوع من الشخصيات، وكان تركيزها على الشخصيات من نوع الحيوان، وتحديداً الحيوانات المتوحشة كالذئب والثعلب والأسد.

4.الابتعاد عن الشخصيات المؤنسنة التي تخلق العداء والانتقام والصراع مع الآخر، والاهتمام بالشخصيات التي تعزز الانفتاح والحوار الإيجابي.

5.الاعتماد على لجنة تعمل على وضع معايير لاختيار القصة ذات الأهداف التربوية والقيمية في المرحلة الابتدائية، وتأخذ بالاعتبار آراء مختصين في علم النفس التربوي.

مكتبة البحث:

١.القرآن الكريم.

٢.ابن المقفع، عبدالله. (١٩٨٩). آثار ابن المقفع، كليلة ودمنة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،

٣.أبو زيد، نصر حامد. (١٩٩٩). إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط٥، الدار البيضاء، المغرب.

٤.أبو ضيف، عبد الله. (١٩٨٣). أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

٥.أحمد، ناصر يوسف. (١٩٨٩). القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال، دائرة الثقافة، منظمة التحرير.

٦.إسماعيل، محمود حسن. (٢٠٠٤). المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة.

٧.بديوي، أحمد علي. (١٩٩٤). طفلك ومشكلاته النفسية التشخيص والعلاج، سلسلة سفير التربوية، القاهرة.

٨.بريغش، محمد حسن. (١٩٩٦). أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت.

٩.تاك، نيكولاس. (١٩٩٩). الطفل والكتاب. ترجمة: مها حسن بحبوح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

١٠. جلولي، العيد. (د.ت). النص الأدبي للأطفال، مديرية الثقافة لولاية ورقلة ، الجزائر.

١١.الرومي، مولانا جلال الدين. (د.ت). مثنوى، ترجمه وشرحه وقدم له: إبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، ج١، القاهرة.

١٢.سلوم، داود.(١٩٧٩). قصص الحيوان في الأدب العربي القديم، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

١٣. الشاروني، يعقوب.(٢٠٠٦). الإبداع في

أعمال كاتب الأطفال، المركز القومي لثقافة الطفل، وزارة الثقافة، مصر.

١٤. الشوربجي، نبيلة عباس.(٢٠٠٣). مشكلات الطفل النفسية، أسبابها وعلاجها، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة.

١٥. طعيمة، رشدي أحمد، (١٩٩٨)، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة.

١٦. عبد الجاسم، عبد العباس والراوي، تركي عبدالغفور، (٢٠٢٤)، قصة «الديك والثعلب الماكر»، قراءتي للصف الثالث الابتدائي، وزارة التربية والتعليم، المديرية العامة للمناهج، ط١٦، العراق.

١٧. عبد الجاسم، عبد العباس والراوي، تركي عبدالغفور، (٢٠٢٤)، قصة «ليلى والذئب»، قراءتي للصف الثالث الابتدائي، وزارة التربية والتعليم، المديرية العامة للمناهج، ط١٦، العراق.

١٨. عبد الجاسم، عبد العباس، والراوي، تركي عبدالغفور، (٢٠٢٤)، قصة «الحمار العنيد»، القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي، وزارة التربية والتعليم، المديرية العامة للمناهج، ط١٦، العراق.

١٩. عبد الجاسم، عبد العباس، والراوي، تركي عبد الغفور، (٢٠٢٤)، درس «النجاة في الصدق»، القراءة العربية للصف الخامس الابتدائي، وزارة التربية والتعليم، المديرية العامة للمناهج، ط١٦، العراق.

٢٠. عبد الجاسم، عبد العباس، والراوي، تركي عبدالغفور،(٢٠٢٤)، قصة «الحمار والثور»، قراءتي للصف الثالث الابتدائي، وزارة التربية والتعليم، المديرية العامة للمناهج، ط١٦، العراق.

٢١. عبد الجبار، عذراء. (٢٠١٤). الأنسنة في قصص الأطفال، مجلة الولاية، العتبة العلوية المقدسة، النجف، العراق.

٢٢. قورة، علي عبد السميع، وأبو لبن، وجيه المرسي.(٢٠١٣(. الاستراتيجيات الحديثة لتعليم وتعلم اللغة، مطبعة شيماء، القاهرة،

٢٣. مارون، يوسف، أدب الأطفال، (٢٠١١)، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان.

٢٤. مدكور، احمد علي.(٢٠٠٦). تدريس فنون اللغة العربية: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٥. مركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج.(٢٠١٠). تطوير مستوى التأليف والإبداع في أدب الطفل، رؤية تحليلية، الكويت.

٢٦. معاطي، صلاح.(٢٠١٤) الخيال العلمي بين العلم والخرافة، الوراق للنشر والتوزيع، ط١، الأردن.

٢٧. مهني، قاسم.(٢٠١٠). أدب الطفل والترغيب في مطالعته، دار العلماء، ط١، تونس.

٢٨. ناجي، ثائر هادي.(٢٠١٠). الأنسنة في نصوص مسرح الأطفال والكبار، مجلة دراسات تربوية، عدد ١٢، تشرين الأول، وزارة التربية، العراق.

٢٩. نجيب، أحمد.(١٩٨٣). كتب الأطفال ما قبل السادسة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

٣٠. نجيب، أحمد.(٢٠٠٠). القصة في أدب الأطفال، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع،

بـيروت.

٣١. الهيتـي، خلـف نصـار محيسـن. (١٩٧٧). القيـم السـائدة في صحافـة الأطفـال العراقية، قسـم الأدب في التربيــة وعلــم النفــس، كليــة التربيــة، جامعــة بغــداد.

٣٢. الهيتــي، هــادي نعــمان.(١٩٧٧). أدب الأطفــال: فلســفته، فنونــه، وســائطه، الهيئــة المصريــة العامــة للكتــاب، القاهــرة.

33-National Scientific Council on the Developing Child (2010) Center on the Developing Child at Harvard University. Persistent Fear and Anxiety Can Affect Young Children's Learning and Development:

المواقع الالكترونية:

٣٤. موقـع الجزيـرة الالكـتروني ١٣/ ١٠/ ٢٠٢٢، عنـوان المقـال: «احـذر أن تعلـم طفلـك الخـوف مــن العــالم». (https://us.cutt/JeIjW)